

## لا، لم تسقط عدن

علي الصراف  
كاتب عراقي

إخوان الشمال، ولا كان بوسعهم أن يحسنوا، صنع بلد أصلا. اليوم، يهرب حزب الإخوان من الجنوب، كما يهرب اللصوص الشرعية، وأقنعوا أنفسهم، بأن الطريق إلى صنعاء لا يمر إلا من عدن. وكان ذلك أول ضياع البوصلة، لهم ولإعلام نظر إلى تمددهم على أنه تمدد للشرعية.

الشرعية الوحيدة التي يمكن لعدن أن تقبل بها، هي شرعية الحرية والمساواة في يمن حر من كل أشكال الطغيان والتعسف والتوتاليتارية الدينية أو الأيديولوجية على حد سواء.

ولئن ظل بعض الإعلام عاجزا عن رؤية الحق، وقبل أن تنطلي عليه الخدعة، (خدعة أن الشرعية تبدأ من أجندة إخوانية تهيمن على كل شيء) فالأمر لم يكن يريد أن يقول ما يعرفه الجميع. وهو أن الجنوب الذي تحرر بأيدي أبناءه، لم يعد بحاجة إلى أن يُعطى عليه من أي أحد.

الذين يريدون أن يحرقوا اليمن انطلاقا من الهيمنة على عدن، ما هم بكتشفون الآن أن الطريق الذي سلكوه كان طريقا للضلالة فحسب.

صنعاء، لا عدن، هي ما يجب أن يكون الهدف. الحوثي وليس فقراء هذا الجنوب الذين لم يجدوا، ساعة القهر، إلا القليل من يقف في صفهم. بعض الأوضاع غيب أحيانا عن البصيرة، من دون أن يغيب عن البصر:

- جنوب اليمن ليس هو المشكلة. المشكلة في شماله.  
- عاصفة الحزم اندلعت لرد اعتبار اليمن من انقلاب الحوثي على الشرعية، لا من انقلاب الجنوب على أي أحد.

الجنوبيون لا ينطلقون من مشروع أيديولوجي. مشروعهم وطني محض، تنموي محض، لا يحتكر شيئا ولا يملئ على أحد تصورا.

- إخوان اليمن، هم كغيرهم إخوان السوء ذاته الذي يحارب اليمن والسعودية، كما يحارب مصر وتونس وسوريا. ويريد لهذه البلدان أن تغرق في حروب أهلية لا تنتهي. ويريد لدولها الوطنية أن تسقط.

- حزب الإصلاح الأحمر، انشقاق أصلاء للحوثي. مشروع الإسلام السياسي يشبه بعضه، حوثي أو قاعدة. حزب الله أو داعش، حزب إصلاح أو حزب دعوة. لا فرق. (هكذا قالت قمة الرياض أصلا. ولم يخطئ من صدق).

- الطريق إلى صنعاء لا يمر من عدن، إنه يمر من تعز والحديدة وحجة.

- الجنوبيون أدوا المهمة التي حارب من أجلها التحالف العربي، وحققوا أهدافها في أسابيع. ووقروا للشرعية أرضا، تكفي لزعيم لنفسها ما تزعج. فلماذا الطغيان عليها؟ - الجنوب لأهله، كما الشمال لأهله. كما تعز لأهلها. وصنعاء للجميع. تلك هي اللامركزية التي توافقت عليها مخرجات الحوار. ألم يكن ذلك كذلك؟

- ما من أحد خدم التحالف العربي، أكثر من الجنوبيين. بقي أن يؤدي الآخرون قسطهم، فليذهبوا إلى حيث يجب أن يكونوا. المعركة الأصل، هناك، في الشمال، لا في عدن. فلماذا الطغيان على عدن؟ لماذا الردة عليها بينما الحوثي يسرح ويمرح؟

عندما لا ينظر بعض الإعلام إلى هذه الحقائق، فليس لأنه عاجز عن قولها، بل لأنه لا يريد رؤية الحق. حتى ولو عاد أحمر الشمال وأخضره لبحال "تحرير" عدن من أهله، فإنها سوف تتمرد. التمرد جزء من طبيعتها أصلا.

أما التحالف العربي، فإنه حر بنفسه. يمكنه أن يختار ما يختار من الطرق، والقبول بقيادته أمر لا نقاش فيه. وعدن لن تسقط في فخ أي قول آخر. لأنها تحتاجه بشدة. تحتاج عطفه وتضامنه. كما يحتاجها هو كقوة بناء وطنية عاقلة. سوى أنها لا تريد أحمر ولا أخضر يُملئ عليها.

لا تريد إسلاما إخوانيا ولا إسلاما شيوعيا. وهذا ليس بكثير على من حرز نفسه وامتثل وشكر. لهذا السبب، لا يحق لإعلام يمتلك القدرة على رؤية الحق، ألا يقوله.

إذ أنها لأهلها، فلن تسقط أبدا. عادت عدن من محاولة اختطاف جديدة. وهي لن تني تعود. أصبح الأمر قدرا إلى حد بعيد. حتى عندما حاول مشروع أيديولوجي ما أن يختطفها، فإنها أفلتت من يديه. هكذا كان الأمر دائما. شيء ما من نبض الحرية والتفرد، هو الذي يجعلها تفلت. هو الذي يجعلها تتمرد.

ولئن دُبحت لأكثر من 15 عاما بعد تمرد أسقط دولة التوتاليتاريا (البروليتاريا)، فإن نزع التمرد صارت هي النبض ذاته. لا علي عبدالله صالح تمكن منها، ولا كل آل الأحمر. وعندما اجتاحتها آل الأخضر، من سادة الحوثي، فإنها لم تلبث حتى نبذتهم.

إنها عدن العصية. عدن الشقية أيضا. وبعض شقاها أنها لم تُقهم. فطلت تتمرد. حتى ليجوز القول إنها العاصمة الوحيدة التي كان يتعين أن تُعصم من كل قوة تسعى إلى قهرها، أو تملئ عليها ما لا تستطيع العيش فيه.

فكيف إذا عاملوها كهمج؟ وكيف إذا طغوا عليها واستعبدها وكأنها سبية؟ بعض الإعلام أسقطها، حتى لكانه كان يشتبه أن تسقط. ولكنها، كما في كل مرة، تعود لتنهض. المسألة لا تكمن في موقف مسبق يتخذ ذلك الإعلام الذي يخشى رؤية الحق (دع عنك قوله)، ولكنها في حقيقة أن البوصلة تضع أحيانا.

ما من أحد خدم التحالف العربي أكثر من الجنوبيين. بقي أن يؤدي الآخرون قسطهم. فليذهبوا إلى حيث يجب أن يكونوا. المعركة الأصل هناك في الشمال، لا في عدن. فلماذا الطغيان على عدن؟ لماذا الردة عليها بينما الحوثي يسرح ويمرح؟

من هم أولئك الذين دافعوا عن عدن؟ إنهم أهلها. لا توجد حقيقة أسقط من تلك. تم من هم الذين حاولوا اجتاحتها؟ إنهم أهل مشروع دخيل. وهم قبيلة إخوان دخيلة. ليسوا بالضرورة أهل "شمال" أصلا. فالإخوان لا شمال لهم ولا جنوب. إنهم أهل لا وطن. وهم إذ يمتطون أوطانهم امتطاء البغل، فلاجل غاية أخرى أبعد من أن تكون لها حدود. تلك هي طبيعتهم. وذلك هو وجودهم أصلا. وإخوان اليمن، مثلهم مثل أي إخوان آخرين، بلا أرض ولا وطن، لأنهم بلا انتماء. انتماءهم إلى الشرع، كما قد يزعمون. ولكن ليس لأنه شرع "رب العالمين"، بل لأنهم يحتكروه، ولأنه ربهم وحدهم. من هنا تبدأ المعضلة عادة ودائما.

الإعلام الذي أسقط عدن بيد هذه الحقنة الضالة من "قبائل" الأيديولوجيات الشمولية، ظل ينظر إلى الجنوب على أنه وريث ماضيه الأيديولوجي المضاد. فكهوه، حتى وإن لم يكره أحدا. وهذا ظلم آخر. عانى جنوب اليمن من الأحقاد والمظالم ما لا حصر له. وإذ عومل أهل الجنوب، وكأنه تراب فائض عن الحاجة، فقد تحول إلى جحيم.

الإخوان والأحمريون والمؤتمريون معا، لم يتركوا سبيلا لأي قول آخر: فالجنوب الذي جاءهم مهزوما بمذبحة صنعاء "الاشتراكيون" لأنفسهم، عومل كغنيمة، وتم اجتياحه ليُنهب، وكان كل شيء في الجنوب، وهو لم يملك بالأحرى شيئا.

لم تكن تلك الوحدة، وحدة أبدا. كانت احتلالا فحسب. ولم يحسن



## استنفار إسرائيلي في حرب غير تقليدية

التطورات العسكرية المعادية لإسرائيل وصعوبة تتبعها. ففي حين واجهت إسرائيل في السابق عدوا ثابتا هو جزء من دولة، تواجه اليوم ميليشيات مرنة وذات قدرة كبيرة على التخفي. كما ساعدت التطورات المحلية في سوريا ولبنان والعراق خلال السنوات الماضية على تكريس النفوذ الإيراني في تلك البلدان، ما سمح بإنشاء العشرات من الميليشيات التي يديرها الحرس الثوري الإيراني، والتي تواجه إسرائيل مشكلة حقيقية في مراقبة تحركاتها وأساليب عملها.

لقد اختبرت إسرائيل هذا النوع من الحرب في العام 2006 مع حزب الله اللبناني الذي استخدم مواقع صاروخية متحركة يجري إخفاؤها بعناية في ظل تضاريس جغرافية تساعد على ذلك.

واجهت إسرائيل صعوبة بالغة في إيجاد تلك المواقع واستهدافها وخرجت من الحرب دون أن تحقق أهدافها كاملة كما اعتادت في حروبها السابقة. تعرف تل أبيب اليوم أن المنطقة باتت مرتعا للعشرات من المجموعات الشبيهة بحزب الله والتي تنتشر في سوريا وإيران، وربما أيضا واكتشاف منصات إطلاق الصواريخ المتحركة التي تنتشرها مهمة شبه مستحيلة.

ربما يفسر ذلك أيضا عدم الرد من جانب إيران وحلفائها رغم تكثيف وتيرة الهجمات بصورة ملحوظة للغاية. إذ تشعر إيران بأنها تحقق نجاحا على الأرض في عدد

من الدول رغم الهجمات الإسرائيلية، وهو ما يدفعها إلى تجنب تصعيد التوتر مع عدو يتفوق عليها بصورة كبيرة في القدرات العسكرية التقليدية. سوف يؤثر ذلك على

وعد الأمين العام لحزب الله اللبناني، حسن نصرالله، بالانتقام لقتل

عنصرين من الحزب في سوريا واستهداف مقرات الحزب في الضاحية الجنوبية. إذ بقدر ما يرغب حسن نصرالله في تنفيذ وعده ذلك وإعادة التأكيد على خطوط وقواعد الاشتباك القديمة، إلا أنه لا يرغب في الانجرار إلى مواجهة عسكرية مباشرة وواسعة مع إسرائيل، تكون قبل أوانها في ظل نجاحه ونجاح حلفائه في بناء شبكات عسكرية غير تقليدية يمكن توظيفها في الوقت المناسب.

الجديد أيضا أن الخطاب الإسرائيلي الرسمي تطور من التركيز على استهداف حزب الله، نحو الإعلان عن استهداف قوات فيلق القدس التابعة للحرس الثوري الإيراني. باختصار، انتقلت إسرائيل من حرب مصغرة ومحدودة ضد مواقع حزب الله في سوريا، لتخوض حربا مع أربع دول هي سوريا والعراق ولبنان وإيران. ولا تبدو دولة الاحتلال عابئة على الإطلاق باحتمالات توسع نطاقها مع أعدائها إلى حرب شاملة. قد ينظر البعض للهجمات الإسرائيلية وتصاعد وتيرتها وحدتها باعتباره نجاحا وتأكيدا على التفوق العسكري الإسرائيلي، وعلى الضعف البنوي الذي تعاني منه الدول المستهدفة التي عجزت عن الرد، ولو مرة واحدة، على المئات من الهجمات.

بالطبع، تبدو الهجمات جزءا من استراتيجية إسرائيلية وعقيدة دفاعية قديمة تعمل على تدمير قدرات الخصم قبل أن تتطور إلى مرحلة تهدد أمن الكيان الإسرائيلي.

في شهر يونيو من العام 1981، دمر سلاح الجو الإسرائيلي مفاعل "تموز" النووي العراقي. وفي العام 2007، دمرت غارة جوية إسرائيلية منشأة نووية في مدينة دير الزور، شرق سوريا، كان

الجغرافي إلى حجم

انتقلت إسرائيل من حرب مصغرة ومحدودة ضد مواقع حزب الله في سوريا، لتخوض حربا مع أربع دول هي سوريا والعراق ولبنان وإيران. ولا تبدو دولة الاحتلال عابئة على الإطلاق باحتمالات توسع نطاقها مع أعدائها إلى حرب شاملة. قد ينظر البعض للهجمات الإسرائيلية وتصاعد وتيرتها وحدتها باعتباره نجاحا وتأكيدا على التفوق العسكري الإسرائيلي، وعلى الضعف البنوي الذي تعاني منه الدول المستهدفة التي عجزت عن الرد، ولو مرة واحدة، على المئات من الهجمات.

بالطبع، تبدو الهجمات جزءا من استراتيجية إسرائيلية وعقيدة دفاعية قديمة تعمل على تدمير قدرات الخصم قبل أن تتطور إلى مرحلة تهدد أمن الكيان الإسرائيلي.

في شهر يونيو من العام 1981، دمر سلاح الجو الإسرائيلي مفاعل "تموز" النووي العراقي. وفي العام 2007، دمرت غارة جوية إسرائيلية منشأة نووية في مدينة دير الزور، شرق سوريا، كان

الجغرافي إلى حجم

سلام السعدي  
كاتب فلسطيني سوري

خلال السنوات الماضية، شنت إسرائيل عددا كبيرا من الضربات الجوية على ما تقول إنه مواقع لحزب الله اللبناني في سوريا وشحنات للأسلحة والصواريخ تحاول إيران نقلها إلى حليفها في لبنان.

صاعدت الهجمات وتطورت من ضربات متباعدة تحدث كل عدة أشهر، إلى ضربات متواصلة لا يكاد يمر أسبوع واحد دون حدوثها. بل وسعت إسرائيل مؤخرا نطاق الضربات لتشمل العراق ولبنان. في يوم واحد فقط خلال الأسبوع الماضي، ضربت مواقع للحشد الشعبي في العراق ومواقع لحزب الله في سوريا، مسببة مقتل عنصرين كانا قد تلقيا تدريبات في إيران حول تكنولوجيا الطائرات المسيّرة. كما استهدفت طائرات إسرائيلية مسيرة مواقع لحزب الله في الضاحية الجنوبية في قلب العاصمة بيروت، لتنتهي قواعد الاشتباك غير المعلنة والتي جرى إقرارها بعد حرب تموز من العام 2006 مع حزب الله.

لم تكتف إسرائيل لهديدات الأمين العام لحزب الله، حسن نصرالله، بالرد العسكري على الهجوم الإسرائيلي واستهداف موقع للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة على الحدود اللبنانية السورية.

ما من أحد خدم التحالف العربي، أكثر من الجنوبيين. بقي أن يؤدي الآخرون قسطهم، فليذهبوا إلى حيث يجب أن يكونوا. المعركة الأصل، هناك، في الشمال، لا في عدن. فلماذا الطغيان على عدن؟ لماذا الردة عليها بينما الحوثي يسرح ويمرح؟

عندما لا ينظر بعض الإعلام إلى هذه الحقائق، فليس لأنه عاجز عن قولها، بل لأنه لا يريد رؤية الحق. حتى ولو عاد أحمر الشمال وأخضره لبحال "تحرير" عدن من أهله، فإنها سوف تتمرد. التمرد جزء من طبيعتها أصلا.

أما التحالف العربي، فإنه حر بنفسه. يمكنه أن يختار ما يختار من الطرق، والقبول بقيادته أمر لا نقاش فيه. وعدن لن تسقط في فخ أي قول آخر. لأنها تحتاجه بشدة. تحتاج عطفه وتضامنه. كما يحتاجها هو كقوة بناء وطنية عاقلة. سوى أنها لا تريد أحمر ولا أخضر يُملئ عليها.

لا تريد إسلاما إخوانيا ولا إسلاما شيوعيا. وهذا ليس بكثير على من حرز نفسه وامتثل وشكر. لهذا السبب، لا يحق لإعلام يمتلك القدرة على رؤية الحق، ألا يقوله.

